الهجرات البشرية وأثرها في تشكيل السلوك الاجتماعي في إفريقيا
منطقة النوبة وحوض النيل نموذجا

للدكتور/ ربيع محمد القمر الحاج
باحث في الدراسات الإفريقية بالرياض
ندوة التداخل والتواصل بجامعة إفريقيا العالمية

تعتبر العلاقة والصلات بين إفريقيا والجزيرة العربية علاقة موغلة في القدم يصعب علي الباحث أن يحدد لها تاريخا معينا حيث تعود إلى آماد بعيدة قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذه حتمية تؤيدها الحقائق الجغرافية والروايات التاريخية ، ذلك أن البحر الأحمر لم يكن في وقت من الأوقات حاجزا يمنع الاتصال بين شواطئه الآسيوية العربية وشواطئه الإفريقية إذ لا يزيد اتساع البحر على المائة والعشرين ميلا عند السودان ، ويبدو بهذا أنه ليس من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة(1)

فجنوبا يضيق البحر الأحمر لدرجة كبيرة عند بوغاز باب المندب حتى لايزيد على عشرة أميال ، وهو الطريق الذي سلكته السلالات والأجناس إلى القارة الإفريقية منذ آماد بعيدة (2)

وتذكر بعض الروايات التاريخية أن المصريين القدماء الذين عبدوا الإله حورس كانوا عربا هاجروا من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر عن طريق مصوع (3) وتابعوا سيرهم عن طريق وادي الحمامات شمالا إلى مصر ، وأن معبد الشمس الذي بني قرب ممفيس إنما بنته جاليات عربية وصلت إلى هناك في وقت غير معروف ، ووجدت آثار لجاليات عربية كبيرة تسكن المنطقة المحاذية للنيل من أسوان شمالا إلى مروي جنوبا (4) وقد دلت الأبحاث الأثرية والتاريخية على أن هجرات عربية قدمت من جنوب الجزيرة واليمن عبر البحر الأحمر يعود بعضها إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وثبتت بعض هذه الجاليات العربية أقدامها في بعض جزر البحر الأحمر مثل دهلك منذ عدة قرون قبل الإسلام (5) ولم يقتصر وجود الجاليات العربية على الساحل الإفريقي ، بل إن أفراد هذه الجاليات قد توغلوا في الداخل ووصل بعضهم إلى ضفاف النيل وأقاموا شبكة من طرق القوافل التجارية بين ساحل البحر الأحمر والمناطق الداخلية ، وقد

وصل العرب إلى أقطار وادي النيل عن الطريق الشمالي البري المار عبر سيناء إلى مصر ، ثم انحدروا جنوبا إلى بلاد البجة والنوبة (6)

هذا وقد كانت التجارة تمثل إحدى أهم الوسائل لهذه الاتصالات إذ نشطت حركة تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب بين الجزيرة العربية من ناحية وبين موانىء مصر والسودان والحبشة من ناحية ثانية ، مما يؤكد أهميتها في حركة الاتصال والتواصل النشيط بين سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية (7)

علي أن هذه الهجرات أقصاها مابين 1500 ق م – 300 ق م في عهد دولتي معين وسبأ ، وحمل المعينيون والسبئيون لواء التجارة في البحر الأحمر ووصلوا في توغلهم غربا إلى وادي النيل، ونشطت حركة التجار العرب وبخاصة في زمن البطالسة والرومان،ولاشك أن عددا غير قليل من هؤلاء استقروا في أجزاء مختلفة من حوض النيل ، ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم،(8) وفي القرنين السابقين للميلاد عبر عدد كبير من الحميريين مضيق باب المندب، فاستقر بعضهم في الحبشة وتحرك بعضهم الآخر متتبعا النيل الأزرق ونهر عطبرة ليصلوا عن هذا الطريق إلى بلاد النوبة ، كما يرجح أنهم لم يتوقفوا عند هذا الحد بل قد انداحوا في هجرتهم حتى المناطق الغربية لسودان وادي النيل(9) كما تذكر بعض المصادر التاريخية أن هناك حملات عسكرية قام بها الحميريون في وادي النيل الأوسط وشمال إفريقيا ، وتركت هذه الحملات وراءها جماعات استقرت في بلاد النوبة وأرض البجة وشمال إفريقيا (10) كما تشير بعض الروايات إلى حملة قادها أبرهة ذي المنار بن ذي القرنين الحميري على السودان وبلاد النوبة والمغرب في أوائل القرن الأول قبل الميلاد، ثم إلى حملة أخر ى قادها ابنه إفريقيش إلى شمال إفريقيا ، وقد تداخلت تلك الجماعات المهاجرة مع الوطنيين من أصحاب تلك البلاد التي هاجروا إليها ، وأصبح لهم وجود معتبر فيها ، ولعل وجود العمامة ذات القرنين التي كانت شارة من شارات السلطة الكوشية دليل على ذلك الوجود الحميري المبكر، (11) ،إضافة إلى عدد من القرائن الأخرى الدالة على هذا الوجود .

بالاضافة إلى ذلك فقد وردت إشارات إلي وجود جماعات من الحضارمة عبروا البحر الأحمر إلى ساحله الإفريقي في القرن السادس الميلادي – ثم اختلطوا بالبجة

وكونـوا طبقـة حاكمـة خضـع لهـا البجـة، وقـد عرفـوا عنـد العـرب – الحداربـة – الـذين استقروا في اقليم العتباي في الشمال ، ثم اضطروا إلى الانتقال جنوبا في القرن الخامس عشر الميلادي حيث أسسوا مملكة البلو (مملكة بني عامر) في إقليم طوكر(12)

وتجدر الإشارة هنا إلى نزوح بعض الجماعات النوبية والسودانية عن مواطنها إلـى الجزيـرة العربيـة ، حيث تـأثرت بعادات وتقاليد سكانها قبل الإسلام ، بـل مشـاركتها فـي الحياة الاجتماعية والثقافية هناك ، فقد أشار ابن هشام إلى استعانة المكيين بنجار قبطي أثنـاء إعـادتهم بنـاء الكعبـة قبل البعثـة المحمديـة (13)،| بيـد أن بعض المصـادر تشير إلى وجود قديم لجاليات حبشية ونوبية وسودانية في بعض مناطق الحجاز في تلك الفترة أيضـا (14)، وتـذكر أن عـدد الأحبـاش والنـوبيين كـان كبيـرا فـي عـدد مـن مدنـه،و أدى وجودهم إلى أن يتعلم بعض العرب لغتهم ، إذ ثبت أن عددا من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم قد تعلموا بعضامن تلك اللغات ، و أن زيـد بن ثابت وحنظلـة بـن الربيـع بن صيفي التميمي الأسدي كانا يترجمان للنبي صلى الله عليه وسلم بالقبطية والحبشية وقد تعلماهـا من أهلها بالمدينـة (15)، وتمضـي هـذه المصـادر فتـذكر أنـه كـان للنبـي صلى الله عليه وسلم مولى نـوبي اسمه يسار أصـابه فـي غزوة بنـي عبد بـن ثعلبـة ، فأعتقه وهو الذي قتلـه العر نيـون الـذين أغـاروا علـى لقـاح النبـي صـلي الله عليـه وسـلم ، حيث قطعوا رجله ويده وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتي مات (16).

ورغمـا عن ثبـوت الوجـود العربـي المبكـر والاتصـال ببـلاد النوبـة والسـودان فـي فتـرة ماقبل الإسـلام فإنه لم يكن ذا تأثير واضح في سكان البلاد ، ويرجـع ذلك إلـى أن العـرب وقتها لم يحملوا عقيدة واحدة واضحة ، ولم يكن لهم هدف محدد سو ى العمل فـي التجـارة والبحث عن مناخات وفرص أفضل لكسب العيش في تلك المناطق كما هو الحال عندما جاء العرب المسلمون الذين يحملون عقيدة واحدة ، ويتكلمون لغة واحدة ويمثلون دولـة واحدة ، وينشدون أهدافا موحدة ، ويكـادون يتفقون فـي السـلوك العـام المنضـبط بتعـاليم الإسلام.

بيد أن أهم نقطـة تحـول في تـاريخ العلاقة بين العرب المسلمين وبين منطقة وادي النيـل وبـلاد النوبـة والسـودان حـدثت بعـد الفتـح الإسـلامي لمصـر سـنة 21 هـ فـي عهـد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، بقيادة الصحابي عمرو بن العاص (17) كانت هي

توقيع المسلمين لمعاهدة البقط (18)مع ملوك النوبة والسودان من النصار ى الذين كانوا يقيمون في شمالي السودان وحاضرتهم مدينة (دنقلة)، ذلك أن هذه المعاهدة تضمنت بنودا مهمة سهلت وسمحت في مجملها للقبائل العربية بالهجرة والتدفق نحو بلاد النوبة والسودان بشكل كبير لم يحدث له مثيل(19)، مما مكنها مستقبلا من الإحاطة بالكيانات النوبية المسيطرة وتحول النوبيون وأهل السودان من النصرانية إلى الإسلام .

مسالك ومنافذ الهجرات العربية إلي إفريقيا ومنطقة وادي النيل

والمتتبع لحركة الهجرات العربية يجد أنها اتخذت عددا من المنافذ ظلت ترد عن طريقها القبائل العربية باتجاه بلاد النوبة والسودان منها ثلاثة منافذ رئيسية هي :

1- المنفذ الشرقي عن طريق البحر الأحمر من الجزيرة العربية.

2- المنفذ الشمالي عن طريق نهر النيل من مصر.

3- المنفذ الشمالي الغربي أو الطريق الليبي عبر الصحراء الكبر ى .

المنفذ الشرقي من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر

هذا المنفذ يعتبرمن أقدم و أقصر الطرق التي سلكتها الهجرات العربية إلى بلاد النوبة خاصة وإلى القارة الإفريقية عامة ، وقد عرفه العرب قبل الإسلام، وامتدوا على ساحله الشرقي ، ومنه أنشأوا طرق قوافل تسير عليها الإبل إلى المناطق الداخلية في القارة الإفريقية ،كما سلكته كثير من القبائل العربية في هجرتها وتجارتها مع القبائل التي تسكن في ساحله الغربي مثلما فعل الحضارمة ، وقبائل بلي التي ساكنت البجة في الشرق واختلطوا بهم .

ولما جاءت الفتوحات الإسلامية توسعت حركة الهجرة من الجزيرة العربية إلى بلاد العالم كافة وإلى بلدان إفريقية علىوجه الخصوص وانفتحت منافذ أخر ى للهجرة إلىالسودان غير هذا المنفذ (20)، إلا أن ذلك لم يقلل من قيمته كمنفذ من المنافذ التي ساهمت بقسط كبير في الهجرة إلى بلاد إفريقيةبعامة وإلى بلاد النوبة بوجه خاص .

المنفذ الشمالي عبر النيل وبمحاذاته من مصر :

ظل هذا المنفذ منذ قديم الزمان إذ إنه كان يمثل الطريق التجاري الذي يربط مصر بوسط إفريقيا وبلاد النوبة والبجة ، وازدادت أهميته بعد توقيع معاهدة البقط حيث كفلت

بعض بنودها للتجار والمهاجرين والقوافل حق التحرك الحر فيه و أعطتهم أمانا للتوغل في أعماق البلاد ، و أصبح مدخلا للقبائل العربية إلى بلاد النوبة (21)، ويعتبر أحد الباحثين أن هذا المنفذ كان سببا مباشرا في تعريب بلاد النوبة (22)و أنه أعظم خطرا وأهم دورا من المنفذ الشرقي في أمر هجر ة القبائل إلى بلاد النوبة سواء أكان ذلك قبل الإسلام أم في زمن التوسع الإسلامي (23)و أن كثرة الحديث عن الهجرة العربية عبر البحر الأحمر كانت بسبب أن بعض القبائل العربية في السودان تدعي أن أسلافها وصلوا من جزيرة العرب مباشرة إلى السودان عبر البحر الأحمر لتأييد دعواهم في الانتساب إلى أصل شريف أموي أو عباسي أو أنهم سلالة بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (24)

و على الباحث أن لايغفل أهمية المنفذ الشرقي في دفع وتوسع حركة الهجرة إلى بلاد النوبة (25)خصوصا في العهد المملوكي الذي نشطت فيه حركة الملاحة البحرية بين الموانىء الغربية للبحر الأحمر وبين موانئه الشرقية بسبب الاعتداءات الصليبية المتكررة علي طريق برزخ السويس الأمر الذي أدى لإنعاش مينائي عيذاب وسواكن اللذين وضع المماليك أيديهم عليهما تماما بعد تكرار الاعتداء على ممتلكات التجار المصريين المتوفين هناك (26) هذا ولم يقتصر تأثير المنفذ الشرقي على الجهات التي تقابل الجزيرة العربية فقط بل تجاوزتها إلى السودان الأوسط وبلاد السودان الغربي أيضا(27)

المنفذ الشمالي الغربي :

سلكته القبائل العربية في هجرتها نحو بلاد النوبة والسودان بعد أن تمكن الإسلام في معظم المناطق الشمالية من القارة الإفريقية ، ويسير باتجاه السهول والبراري الواقعة بين النوبة وكردفان ودارفور وقد ازدادت شهرته بعد أن قامت في مصر وشمال إفريقية دول إسلامية مستقلة عن الخلافة العباسية (28) ولم يكن له دور فاعل ومؤثر في حركة الهجرة نحو بلاد النوبة لجفافه وصعوبته بسبب الصحراء وقلة الماء .

بيد أنه كان هناك عدد من الطرق والمنافذ سلكتها القبائل العربية من هذا الاتجاه ومنها الطريق الذي يبدأ من شنقيط وينتهي إلى تمبكتو فجاوا وزندر وكوكوا وبيدا ومسنيا وابشي والفاشر ثم يخترق سهول الجزيرة حتى ينتهي إلى سواكن ، وقد اشتهر هذا

الطريق لكونه قد رفد بلاد السودان والنوبة بأعداد كبيرة من العلماء والدعاة الذين ساهموا مساهمات كبيرة في نشر الدعوة الإسلامية وتوطينها في تلك المناطق .

دوافع الهجرة إلي إفريقيا :

و مما لاشك فيه أن هذه الهجرات إلى بلاد النوبة لم تتم في فترة واحدة محددة ، ولم تحركها ظروف واحدة كذلك بل تمت على فترات متقطعة تنشط حينا وتخمد حينا أخر ويتحكم فيها عدد من الدوافع أو العوامل الدينية والسياسية والتجارية والاقتصادية التى يمكن تناولها على النحو التالي:

الدوافع الدينية :

ولقد كان معظم جنود الحملات العسكرية التي سيرها ولاة المسلمين في مصر نحو بلاد النوبة من رجال القبائل العربية ، وممن شاركوا في الفتح الإسلامي لمصر أو من المدد الذي ظل يصل تباعا إلى مصر من الجزيرة العربية لتقوية السلطة وحماية للدولة والتوسع في الفتوح (29) ومن الواضح أن الولاة في مصر لم يكونوا يترددون في تسيير الحملات العسكرية تجاه النوبة كلما أغاروا على الحدود والمدن الجنوبية للدولة أو كلما تمردوا عن دفع ماعليهم من بقط والتزام ، فكان من الأهداف الرئيسية التي حركت أولئك المقاتلين هو الجهاد في سبيل الله تعالى لرد كيد الأعداء والدفاع عن الدولة المسلمة ، وحمل لواء الدعوة الإسلامية وتبليغها للعباد تدفعهم لذلك نصوص صريحة من القرآن الكريم وترغبهم في ذلك ، كقوله تعالى " الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أولئك أعظم درجة عند الله (30) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (31) وقوله تعالى (لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) (32)

كما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق) (33) وقوله صلى الله عليه وسلم (المجاهد في سبيل الله مضمون على الله إما إلىمغفرته ورحمته وا ٍما أن يرجعه باجر وغنيمة ومثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لايفتر حتى يرجع(34) فهذه النصوص الواضحة الصريحة من الكتاب والسنة كانت هي الدافع الحقيقي لمشاركة هؤلاء الرجال في هذه الحملات الجهادية ، إضافة إلىحماستهم لأجل تبليغ الدعوة الإسلامية ، إلا أن

كثيرا من المؤرخين المحدثين الذين كتبوا تاريخ الهجرات العربية إلى بلاد النوبة قد أغفلوا هذا الدافع ضمن ماذكروا من دوافع للهجرة ، على الرغم من أنه هو الدافع الرئيسي لها .

الدوافع السياسية :

تختلف وتتباين بحسب الأوضاع في البلدين مصر والنوبة ، فمنها دوافع خاصة بتأمين النظام السياسي في مصر وتقوية شوكته ، حيث عمد عدد من الولاة في مصر إلى جلب قبائل عربية بأسرها إلى مصر لتكون قوة لهم وسندا يحميهم ويغطي ظهرهم عند الخطر .

هذا وقد أشار عدد من المؤرخين إلى أن عبيد الله بن الحبحاب حين تولى مصر من قبل هشام بن عبدالملك سنة 109 هـ أرسل يستأذنه في قدوم قبيلة قيس فإذن له، فقدم عليه نحو مائة من أهل بيت هوازن ، ومائة من أهل بيت بني عامر، ومائة من أهل بيت بني سليم ، فتوالدوا ، وعندما تولى مصر الحوارثة بن سهيل الباهلي في خلافة مروان بن محمد أقبلت إليه قيس وهي يومئذ ثلاثة ألاف بيت (35) ، وقد شاركت أعدادكبيرة من هذه القبائل في الحملات التي أرسلت لبلاد النوبة فاستقرت أعداد كبيرة منهم هناك .

ومنها كذلك أن النوبة ظلت ملجأ لكثير من الهاربين من مصر، أو من الجزيرة العربية بسبب الثورات وتغير نظام الحكم ، ويقدم هؤ لاء القادة الهاربون عادة في أعداد ضخمة وكبيرة من أتباعهم وأهلهم وعبيدهم، وحوادث التاريخ تبين أنه حيث اجتاحت قوات العباسيين الولايات الإسلامية هرب آخر الخلفاء الأمويين إلى مصر حيث قتل هناك ثم هرب أبناء عبيد الله جنوبا إلى النوبة مصحوبين بعدد من الأقارب والأتباع عددهم نحو **400** شخص ، واستجار الأمويون بملك النوبة آملين أن يبقيهم في بلاده، لكن الملك النوبي رفض ذلك وطلب منهم الر حيل ، فتوجهوا شرقا مارين بأرض البجة إلى ميناء باضع ، وتعرضوا للجوع والعطش والتعب فهلك عدد منهم من بينهم عبيدالله بن مروان ، ومضى أخوه إلى ميناء باضع على ساحل البحر الأحمر حيث عبر إلى جدة ومنها سار إلى مكة المكرمة فقبض عليه وأرسل إلى بغداد حيث بقي سجينا حتى أيام الخليفة هارون الرشيد ، الذي أمر بإخراجه بعد أن أصبح كهلا ضريرا (36)

ومهما يكن من أمر فإن الباحث لايستبعد أن يكون رجال البجة باتفاق مع النوبيين قد غدروا بهؤلاء الأمويين تقربا للعباسيين ، حيث كشفت الحفريات الأثرية الحديثة عن قبور هؤلاء الأمويين الفارين على طول الطريق الذي سلكوه من النوبة إلى ميناء باضع البجاوي (37)

علي أنه من المحتمل أن يكون بعض من نجا من هؤلاء الأمويين قد استقر على الساحل السوداني للبحر الأحمر قرب باضع ، حيث اختلطوا بالسكان المحليين وتزوجوا منهم وأصبح لهم شأن كبير تبعا لأصلهم القرشي ، وقد كان لبقاء هؤلاء الأمويين في تلك المنطقة أثر في ادعاء بعض الأسر السودانية بأنها تنحدر من أصل أموي ، ومن الأمثلة على ذلك أسرة الفونج (38) المشهورة ، إضافة لدور من استقر من تلك القبائل في نشر دعوة الإسلام بين سكان البلاد وظلت بلاد النوبة تمثل دائما ملجأ للسياسيين والأمراء الفارين من مصر ، يلجأون إليها لترتيب أمورهم وصفوفهم من جديد ريثما يبدأون محاولة الثورة والقاومة مرة أخر ى مثل هروب عبدالله وعبيد الله ابني مروان بن الحكم إلى بلاد النوبة ، ومثلما فعل الثائر الأموي أبو ركوة في عهد الفاطميين (39)

هذا وقد ساهمت الحملات العسكرية التي سيرها ولاة المسلمين من مصر – بعد إعدادها ودعمها – أما بسبب انقطاع النوبة عن دفع البقط المقرر عليهم أو بسبب هجومهم على منطقة الحدود جنوبي مصر ، وقد كانت هذه الحملات تصل إلى أعماق بلاد النوبة، ثم تستقر أعداد من المشاركين فيها في البلاد فيساهمون في نشر الدعوة والثقافة الإسلامية في المنطقة ونقل الدماء العربية للنوبيين بالتزوج منهم ومصاهرتهم .

هذا وقد كان لتحول سياسة العباسيين تجاه العرب أثر في توسع البحيرات العربية التي ازدادت مع الفتح الإسلامي لمصر حيث ظلت القبائل العربية تفد إليها بأعداد كبيرة جدا سواء كان ذلك بدعوة الولاة لهم كما سبق ، أو بتحرك تلقائي من قبلهم نحو مصر ، فأصبحت أعدادهم كبيرة جدا وصار لهم نفوذ مهم في الدولة وتسيير أمورها ، واستقرت جماعات منهم في الريف ، ومارست الزراعة (40) إلا أنه بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية بدأ العباسيون في استرضاء الموالي والاعتماد على الجنود الأتراك ، وعلى وجه الخصوص في عهد الخليفة المعتصم (**218 – 227هـ**) فأثبتهم في الديوان وأمر واليه في مصر كيدر بن نصر الصفدي بإسقاط من في ديوان مصر

من العرب وقطع العطاء عنهم (41) وأدى هذا القرار الخطير إلى ثورة عربية ضد الوالي ، انتهت بأسر زعمائها من القبائل العربية (42) وبهذا انقرضت دولة العرب في مصر وصار جندها من العجم الموالي من عهد المعتصم إلى أن ولي الأمير أبوالعباس أحمد بن طولون فاستكثر من العبيد (43) ففقد العرب بهذا نفوذهم القديم وأبدوا استياءهم الشديد لهذا التحول في سياسة الدولة وكثرت ثوراتهم في أول قرن للدولة العباسية ، وقامت ثورات يقودها أمراء أمويون في صعيد مصر أيدتها كثير من القبائل العربية ولم تفلح الحكومة المركزية في إخمادها إلا بعد جهود كبيرة (44)و أعلنت كذلك قبائل قيس العصيان ورفضت دفع الخراج المقرر عليها (45)

وأصبح من نتاج هذه الاضطرابات ازدياد وتوسع نزعات كثيرة بين هؤلاء الذين امتنعوا عن دفع الخراج المقرر عليهم – مع التمتع بملكية وخيرات الأراضي التي يفلحونها – وبين ولاة الأمر في مصر ، وأدى ذلك في النهاية إلى توسيع الشقة بين العرب والولاة من حكام مصر ، فكان لهذا التوتر في العلاقة ولهذا الضغط السياسي والاقتصادي أسوأ الأثر في نفوس العرب الذين فقدوا مصدر رزق مهم بالنسبة لهم ، ولم يبق أمامهم إلا أحد أمرين : إما أن يخنعوا للأمر ويسلموا بهذا الواقع ، وا إما أن ينزحوا نحو صعيد مصر بعيدا عن سلطة الوالي ،فآثروا الأمر الثاني وأخذوا منذ أوائل القرن الثالث الهجري ينزحون للصعيد المصري ، ومنه لبلاد النوبة في مجموعات صغيرة ، دون أن تسترعي انتباه أحد ، أو يسجل التاريخ تفاصيلها ، والأغرب من ذلك أنهم قد اجتازوا الحدود بين مصر والنوبة في هدوء شديد لم يلفت إليهم صاحب الجبل أو إلى الاقليم الشمالي من قبل النوبة الموكل بحفظ الحدود الشمالية لبلاده والذي يحول دون دخول أي شخص للبلاد دون تصريح رسمي يسمح له بذلك (46)

الدوافع التجارية :

منذ قديم الزمان ظلت العلاقات التجارية بين مصر والنوبة مزدهرة منذ قديم الزمان ، وذلك لحاجة البلدين إذ كانت مصر تحتاج لكثير من المنتجات التي لاتتوافر فيها مثل الأخشاب والعاج والأبنوس وبعض التوابل .. وغيرها فخرجت قوافل تجارتها منذ قديم الزمان إلى الجنوب منها حتى وصلت إلى أجزاء نائية من القارة الإفريقية (47) وارتبطت مع بلاد النوبة بصلات تجارية قوية فكانت مدينة أسوان مجمعا للتجار من

أهل السودان ومن النوبة ، وكان التجار النوبيون يقدمون إلى أسوان عن طريق النيل حتى الجنادل ثم يتحولون إلى ظهور الإبل حتى يصلوا إلى أسوان (48) وقد سكنها كثير من العرب لمناخها الذي يقارب مناخ الجزيرة العربية ولمركزها التجاري (49) إضافة إلى أن النوبة كانت تصدر عن طريق أسواقها أهم منتجاتها من الذهب والزمرد الذي ينتج في وادي العلاقي (50) إضافة إلى الرقيق والعاج والأخشاب الصلبة والأبنوس وسن الفيل لصناعة العاج الذي يستخدم في الزينة وريش النعام والحديد الذي يستخرج ويصهر بالقرب من نباتا ومروي (51) وكانت ترد إلى النوبة المنسوجات ، والقمح ، والنحاس من مصر .(52)

وعند توقيع عبدالله بن سعد عهد الصلح مع ولاة النوبة نص صراحة على حق الترحال لرعايا البلدين في البلد الآخر دون الإقامة الدائمة ، فساق هذا الحق التجار المسلمين إلى أعماق النوبة مع بضاعتهم وتجارتهم وعقيدتهم الإسلامية ، واستطاعوا بما اكتسبوا من معرفة بأحوال البلاد تمهيد الطريق لهجرة القبائل العربية في أعداد كبيرة ، بل نجد أن أعدادا منهم قد استقرت في فترة مبكرة في سوبا عاصمة مملكة علوة النصرانية جنوب المقرة ، حتى أصبح لهم حي كامل يعرف بهم (53)

ويعتبر من أهم الدوافع الاقتصادية التي ساهمت في دفع القبائل العربية للهجرة نحو جنوب مصر في النصف الأول من القرن الثالث الهجري سماع القبائل عن معدني الذهب والزمرد عبر الصحراء الشرقية لبلاد النوبة واشتهار أمرهما لاسيما في وادي العلاقي من أرض البجاة فأدى ذلك إلى اجتذاب كثير من القبائل العربية المختلفة إلى هذه الأوطان للعمل فيها واستغلال مناجمها (54)و أدى استقرارهم هناك إلى اختلاطهم بالبجاة عن طريق المصاهرة فنقلوا إليهم العقيدة الإسلامية وتغيرت كثير من عاداتهم وتقاليدهم بهذا النسب الجديد(55)

فضلا عن ذلك تعتبر مراعي النوبة وأراضيها أنها أكثر خصوبة من أراضي ومراعي شبه الجزيرة العربية وعلى وجه الخصوص النوبة الجنوبية (علوة) التي كانت أكثر اتساعا وأخصب أرضا وأوفر ثروة من المقرة (56) إضافة إلى أن مناخ النوبة الشمالية (المقرة) يشابه مناخ وبيئة شبه الجزيرة العربية (57) وهو مايوائم حياتهم التي جبلوا عليها في حب الترحل والتنقل وقد كان لهذا التشابه في المناخ وطبيعة البلاد

والأرض المسطحة أثره في دفع هذه القبائل للتقدم نحو الجنوب ، وهي قبائل بدوية رعوية أو شبه رعوية لاتستطيع التقدم إلا في السهول المكشوفة فكان تدفقهم في كل أرض وصلوها يقف عند اصطدامهم بعقبات طبيعية كالبحار والجبال والغابات ، وهذا ماحدث بالضبط إذ إن تلك القبائل لم تتوقف في زحفها إلا عند المناطق التي تسوء فيها الطرق وتتفشى فيها الأمراض الفتاكة ، بيد أن هذه الجماعات العربية المهاجرة اختلطت بالعناصر النوبية والبجاوية في تلك المناطق وأدى هذا الاختلاط إلى تأثر هؤلاء بالدماء العربية التي كانت تتجدد باستمرار مع توالي وصول عناصر عربية جديدة إلى هذه الجهات (58) إضافة إلى اعتناق عدد منهم للإسلام في هذه الفترة بالرغم من جهلهم باللغة العربية (59) والراجح أن العرب تعلموا لغة النوبيين بعد أن اختلطوا بهم واستطاعوا بذلك نشر ثقافتهم الإسلامية في بلاد النوبة (60)

هذا وقد تعاظمت أعداد القبائل العربية المهاجرة وانتشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم – أي النوبة – واستوطنوها وملكوها (61) وذلك في المراحل الأخيرة للمملكة النوبية النصرانية التي أصابها الضعف والوهن بسبب خلافاتها الداخلية ، وبسبب الضغط القوي للقبائل العربية التي سارت في زحفها حتى بلغت أرض البطانة (62) والجزيرة (63) ثم عبر بعضها نهر النيل إلى كردفان ودارفور وهناك التقت هذه الموجة المهاجرة بموجة أخر ى كانت قد تابعت شاطىء النيل الغربي حتى دنقلة ، فوادي المقدم (64) ووادي الملك ، حتى بلغت في مسارها مملكة كانم ، برنو ، حيث كان الإسلام قد بلغ تلك الجهات من بلاد المغرب وشمال إفريقيا (65)

علي أن بعض هؤلاء المهاجرين قد استقروا في سهول أواسط البلاد ، وانفتحوا على السكان الوطنيين من النوبة وغيرهم من البجة والزنج فصاهروهم وعندما بلغوا كردفان ودارفور اضطر جزء منهم أن يتخلوا عن إبلهم ويعتمدوا على الأبقار في ترحالهم ، ومن ثم عرفوا بعرب البقارة (66)

و بالرغم الخلاف الواسع بين الباحثين في أعداد القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد النوبة وفي أنسابهم ، إلا أنه يمكن القول بما اتفق عليه معظم الباحثين من أن الجماعات العربية التي هاجرت إلى بلاد النوبة قد اشتملت علىالمجموعتين العر بيتين :

وهما مجموعتا العدنانيين والقحطانيين (67) حيث يمثل العدنانيون الكواهلة والمجموعة الجعلية وبعض القبائل الأخر ى، في حين يمثل القحطانيون المجموعة الجهنية (68)

والمعروف أن الكواهلة ينتسبون إلى كاهل بن أسد بن خزيمة وأنهم قدموا إلى بلاد النوبة من جزيرة العرب مباشرة عبر البحر الأحمر واستقروا في الإقليم الساحلي بين سواكن وعيذاب (69) وينسب إليهم كذلك البشاريون والأمرار وبنو عامر (70) ومن المؤكد أن أولاد كاهل قد عاشوا زمنا في الأقاليم الساحلية الشرقية والمناطق التي تليها ، ثم انتشروا تدريجيا نحو الغرب(71)

وبالنسبة للمجموعة الجعلية فيقال إنهم ينتسبون إلى ابراهيم الملقب بجعل من نسل العباس عم النبي صلي الله عليه وسلم وترجع أسباب هذه التسمية إلى أن إبراهيم هذا كان جوادا مضيافا و أنه كان يقول للوطنيين وغيرهم من العرب (إنا جعلناكم منا ، أي أصبحتم منا) (72) وتدل هذه العبارة وكثرة ترديدها على أن التوغل العربي الإسلامي في المنطقة كان توغلا سلميا مبنيا على التودد والصلات الحسنة مع السكان الوطنيين من النوبيين وغيرهم ، إلا أن هناك مصدرا آخر يشير إلى أن سبب هذه التسمية أو هذا اللقب هو سمة إبراهيم الشديدة ، ومنظره(73) والواقع أنه لم يرد لفظ جعل ومشتقاته في أسماء قبائل العرب القديمة إلا في قبيلتين : إحداهما جعال بن ربيعة ، الذين أقطعهم الرسول صلىالله عليه وسلم أرض أرم من ديار جذام ، والأخر ى بنو حرام بن جعل بطن من بلي من قضاعة وهم بنو حرام بن عمرو بن حبشم (74) فاللفظ إذن معروف في الجزء الشمالي الغربي من شبه جزيرة العرب أي في الموطن الأول الذي أمد مصر بموجاته العربية المتلاحقة .

وتشيررواية أخر ى أن من بين الصحابة الذين نزلوا مصر حزام بن عوف البلوي ، وكان من بني جعل من بلي وهو ممن بايع رسول الله صلي الله عليه وسلم تحت الشجرة في رهط من قومه بني جعل فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم : : لا صخر ولاجعل أنتم بنو عبدالله (75) على أنه من الصعب القول بإيجاد صلة بين الجعليين الذين هاجروا إلى بلاد النوبة وبين القبيلة المذكورة هنا .

ويبدو أن الجعليين لم يكونوا قبيلة واحدة بل هم مجموعة من القبائل ذات نسب متقارب هاجرت على دفعات وعلى مدىعدة قرون ، و أهم هذه القبائل الميرفاب

والرباطاب والمناصير والشايقية والجوابرة والركابية والجموعية والجمع والجوامعة والبديرية والغديات والبطاحين (76)

ومن القبائل العدنانية كذلك قيس عيلان وكنانة وبنو حنيفة وربيعة وبنو فزارة وبنو سليم وبنو يونس (77)

ومن أشهر القبائل القحطانية التي هاجرت إلى بلاد النوبة قبائل بلي وجهينة وقد ذكر المؤرخون أن الصعيد الأعلى في هذه المرحلة – خلافة المعتصم – سكنته جموع هائلة من عرب سبأ ونزل منهم أرض المعدن خلق كثير ، كانت بلي وجهينة من جملتهم (78)

علي أن هؤلاء الجهنيون ينتسبون إلىعبدالله الجهني الصحابي وهو وا إن لم يكن من جهينة مباشرة فإنه من قضاعة التي تنتسب إليها جهينة (79) وتضم قبائلها قبائل رفاعة واللحويين والعوامرة ، والشكرية ، وقد سكن هؤلاء في النصف الشرقي من سودان وادي النيل ، وعلى شاطيء النيل الأزرق والبطانة ، وفي كردفان مثل قبائل دار حامد وبني جرار ، والزيادية ، والبزعة ، والشنابلة ، والمعاليا ، وفي غرب كردفان ودارفور تشمل قبائل الدويحية والمسلمية والحمر والكبابيش والمحاميد والماهرية والمغاربةوالبقارة (80)

ومن فروع القبائل القحطانية كذلك قبيلة بهراء وهي بطن من قضاعة التي انتشرت بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكان لهم فضل كبير في تقويض دعائم المملكة النوبية (81)

وبذا يخرج الباحث من خلال تتبع هجرة القبائل العربية في بلاد النوبة سرعة اختلاطهم بالسكان النوبيين وغيرهم من الوطنيين في فترة وجيزة ، كذلك لاتكاد تجد أسماء من القبائل العربية في مصر إلا وتجد لها نظيرا في بلاد النوبة .

أثر الهجرة في تشكيل السلوك الاجتماعي عند النوبيين والمهاجرين

أولا : التصاهر

كانت أهم نتائج التدفق العربي الإسلامي نحو بلاد النوبة هو أن دخلت كثير من العناصر العربية الوافدة في تصاهر مع النوبيين ، نتج عنها جيل من المولدين – النوبة المستعربون – اعتنقوا الإسلام وتمثلوا كثيرا من المظاهر السياسية والاجتماعية والثقافية

مما كان له أكبر الأثر في إضعاف الممالك النوبية والديانة النصرانية في نفوس أهليهم من النوبة ومن جاورهم من القبائل الأخر ى .

هذا وقد شجعت على هذا التصاهر ورغبت فيه عوامل كثيرة مختلفة ، منها :

1- التثاقف والوصال

2- تخفيف التوتر بين المهاجرين والعناصر الوطنية

3- تبديل النظام الاجتماعي

4- بعض من الصفات الخلقية والخُلُقية الحسنة والمرغبة في الزواج من النوبيين.

1- التثاقف والوصال :

سبق أن وردت الإشارة في مقدمات البحث إلى أن هناك جملة أهداف دعت المسلمين إلى فتح بلاد النوبة والدخول معها في علاقات تنظمها معاهدة البقط، وجاء أمر نشر الإسلام والدعوة إليه هدفاً رئيساً من تلك الأهداف ، وكانت هذه الوسيلة – التصاهر – أو التزوج من الشعوب التي هاجر إليها المسلمون من أهم وسائل نشر الدعوة ، وإذا استبصرنا في التاريخ لوجدنا صورا كثيرة ورائعة لما حققه ذلك التصاهر من نتائج باهرة في نشر الإسلام وبسط دعوته ومعانيه .

فالعرب المسلمون حين قدموا نحو الجنوب من مصر ، واستقروا في بلاد النوبة وبلاد البجة تحت مظلة المعاهدات التي وقعوها مع ملوكهم ،لم يجدوا حرجا من الاختلاط والمصاهرة مع الجماعات التي تقبل الإسلام وتتخذه عقيدة لها ، وما من شك في أن سماحة الإسلام وتعاليمه النبيلة المقاصد قد دعمت هذا الانفتاح ومكنت من اتصالهم مع هؤلاء و غيرهم ممن اعتنقوا الإسلام فكان ذلك مدعاة لأن يفلح هذا السعي في نقل الدعوة الاسلامية ومؤثراتها مع الدماء العربية لهذه الجماعات مشيدين بذلك روابط متينة قوية بالرغم من أن إسلامهم في بداية هذه المصاهرة كان إسلاما ضعيفا تخالطه كثير من الموروثات والعادات القديمة (82) ودون أن يلتزموا جانب الشرع في حياتهم العامة (83) كما تأثرت العناصر المهاجرة ببعض الموروثات النوبية في هذا المجال .

2) تخفيف التوتر بين المهاجرين والعناصر الوطنية :

فالمعلوم أن غارات النوبة على جنوب مصر لم تتوقف بشكل نهائي برغم المعاهدة الموقعة معهم ورغم حملات التأديب التي ترسل إليهم تارة بعد أخر ى ، فلما توثقت العلاقة بينهم وبين المسلمين بالتصاهر والنسب قلل ذلك من شرهم ، وحد من غاراتهم على الحدود وتعرضهم للمسلمين من ناحية ولتجارتهم وممتلكاتهمن ناحية أخر ى ، مثلما حدث مع البجة تماما حين صاهرتهم القبائل العربية في الشرق فقل شرهم (84)

4- النظام الاجتماعي :

كانت أعراف النوبيين وتقاليدهم تورث (ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب ، ويقولون إن ولادة ابن الأخت وابن البنت أصح وا ٍن يكن من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال (85) وهذا النظام هو نظام عام عند معظم القبائل الإفريقية (86) وبه استطاع بنو الكنز تولي السلطة في بلاد النوبة (87)

5- بعض الصفات الحسنة المرغبة في الزواج من النوبيين :

ولعل من عوامل التصاهر وا ٍقبال العرب على الزواج من النوبيين بعض الصفات الحميدة الحسنة التي ترغب في الزواج من بناتهم واتخاذهن زوجات وأمهات لأولادهم ، فقد اتصفن بكثير من الصفات الحسنة الداعية للاقتران بهن .

فمن الصفات الخلقية (أن جميع النوبة في نسائهم الجمال وكمال المحاسن ، وشفاههن رقاق وأفواههن صغار ، ومباسمهن بيض ، وشعورهن سبطة (88) ولهذه الخلال التي فيهن يرغب ملوك أرض مصر فيهن ويتنافسون في أثمانهن ويتخذونهن أمهات أولاد لطيب متعتهن ونفاسة حسنهن (89) إضافة إلى مايتمتعن به من الأخلاق الحميدة والعفة (90) لذلك فإن الجارية منهن يبلغ ثمنها ثلاثمائة دينار أو أكثر من ذلك(91)

وذكر بعض الرواة أنه كان بالأندلس جارية من هؤلاء الجواري المتقدم ذكرهن عند الوزير أبي الحسن المعروف بالمصحفي فما أبصرت عيناه قط أكمل منها قدا ، ولا أصبح خدا ولا أحسن جسما ولا أملح أجفانا ولا أتم محاسن ، وكان هذا الوزير المذكور مولعا بها بخيلا بمفارقتها .. وكانت مع تمام محاسنها وبديع جمالها إذا تكلمت أسحرت سامعها ، لعذوبة ألفاظها وحلاوة منطقها (92) فاشتراها منه الصاحب بن عباد بأربعمائة دينار وأحبها حبا عظيما ومدحها في بعض أشعاره(93)

هذا وقد كانت أم الخليفة المستنصر من نساء النوبة اللاتي كان لهن شأن كبير في الحكم والسياسة والإدارة في مصر (94)

هذا وقد مثلت قبيلة ربيعة العربية نموذجا واضحا وجليا على مدى التصاهر الذي تم بين العرب والنوبيين بعد أن صاهروا قبائل البجةفي الشرق ، فعاد ذلك التصاهر على الطرفين بخير كثير و لاسيما الطرف النوبي الذي تحول فيما بعد جميعه إلى الإسلام بسبب أسهامات هذه القبيلة ورجالها من بني الكنز(95).

والمعلوم أن قبيلة ربيعة كانت قد هاجرت هجرتهاالكبر ى إلى أرض البجة سنة 238هـ ، وعملت هي والقبائل العربية الأخر ى التي استقرت هناك على مصاهرة قبائل البجة حيث تزوجوا من بناتهم وقويت شوكتهم وكذلك قويت شوكة البجة بهم (96) فكان من نتائج ذلك أن تحولت أعداد كبيرة من قبائل البجة الأخر ى للإسلام ، وزاد ذلك من نفوذ ربيعة في منطقة وادي العلاقي ، وسيطرت قبائل البجة المسلمة على القبائل الأخر ى التي لم تسلم (97)

اما في منطقة النوبة فكما سبقت الإشارة إلى أنه مع مطلع القرن الثاني الهجري أصبح المسلمون في منطقة المريس يمثلون طبقة قوية بما ملكوه من الأراضي الزراعية والمواشي والأموال (98)

وتركزت قبيلة ربيعة في بدايات استقرارها في هذه المنطقة في مدينة أسوان وماحولها وبنوا لهم ميدنة أسموها (المحدثة) جنوبي أسوان وأصبحت مركزا لهم ، وفرضت نفوذها على المنطقة وماحولها واختلطت بالنوبيين وبمضي الزمن اندمجوا اندماجا تاما فيهم ، فكان ذلك سببا رئيسا في تحول أعداد من النوبة النصار ى إلى الإسلام(99) ويمكن القول إنه ما كاد القرن الثامن الهجري ينتصف حتى كانت الغالبية العظمى من النوبيين قد اعتنقت الإسلام (100) بفضل جهود الأجيال الجديدة من النوبة المولدين الذين كانت أمهاتهم في الغالب من النوبيات اللاتي تزوجن الأعراب الوافدين , دعاة كانوا أو تجارا أو مهاجرين .

ثانيا؛ انتقال بعض العادات والتقاليد :

كان للنوبة بعض من العادات والتقاليد الموروثة نتيجة اتصالهم بالمصريين منذ أقدم العصور والأزمنة ، أصبحت جزءاً من واقعهم وحياتهم الاجتماعية والدينية والثقافية

وتظهر بشكل واضح فيماخلفته حضارتهم من إهرامات وطرائق للدفن سلكت نفس طريقة دفن المصريين لموتاهم آنذاك وبقيت كثير من عاداتهم تلك بالرغم من تحولهم للنصرانية التي أكسبتهم بعضا من العادات الجديدة منها ختانهم لأطفالهم واعتزالهم النساء في الحيض ، واغتسالهم من الجنابة (101) وفي فترة بداية الاتصال الإسلامي بهم تسربت إليهم بعض من النظم والعادات والتقاليد ، ذلك بحكم ما كان يربطهم بممالك الإسلام من تجارة وملاحة وعلاقات مختلفة (102)

وعلى أثر انفتاح المهاجرين من العرب المسلمين على المجموعات الوطنية النوبية بالتزاوج والاسترقاق والمصاهرة على النحو الذي سبق ذكره ، انتقلت كثير من العادات والتقاليد العربية إلى الحياة النوبية إلا أن هذا التأثير كان أقل مما يتم في مجال نشر الدعوة الإسلامية والعقيدة ، ذلك أن النوبة الذين تحولت أعداد كبيرة منهم إلى الإسلام على النحو الذي سبق ، فقد ظلوا في حياتهم الخاصة يحتفظون بكثير من موروثاتهم وتقاليدهم ، كما أن الإسلام ودعاته الأوائل لم يكن هدفهم الأساسي في الدعوة هو تعريب العناصر الوطنية التي دانت بالإسلام والتزمته ، بل كان الهدف دعوتهم للإسلام على أن تبقى عاداتهم وتقاليدهم على ذات النمط الذي ألفوه وتوارثوه عن أسلافهم ، إلا ما عارض الدين وكان مخالفا للعقيدة ، وهذا المنهج انتهجه الدعاة في كل القارة الإفريقية ، وهو من الأسباب التي جعلت الأفارقة يقبلون على الإسلام لأنهم وجدوا فيه (ثقافة ملائمة لحاجاتهم وجديرة بتكييف مطالبهم ومطامحهم (103) فكانوا ينظرون إلى اعتناقه على أنه دليل الترقي إلىحضارة ومنزلة اجتماعية أسمي مما هم فيه ، و أنه خطوة متميزة في تقدم القبيلة عقليا وخلقيا وماديا (104) والمعلوم أن الإسلام قد وجد كثيرا من العادات والتقاليد التي كان يمارسها العرب في جاهليتهم فحرم ما كان منها مخالفا للدين والأخلاق والمرو ءة كوأدهم بناتهم صغارا بل نزل في ذلك قرأن يتلي

(وا إذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت) (105) إضافة إلى غيرها من العادات الرذيلة مثل شرب الخمر التي كانت لها منتدياتها وأماكنها ومصطلحاتها ، ووجد بعض العادات والتقاليد يشوبها بعض من شوائب الجاهلية فعمل على تنقيتها وتهذيبها ودفعها للإمام بعد ذلك ، ووجد عادات أخر ى أقرها وأبقى عليها ، بل وأشاد بها مثل إكرام الضيف ، ونصرة الضعيف المظلوم ، والتخلق بمكارم الأخلاق .

هذا وقد أضحى النوبيون باتصالهم بالمسلمين يتخلون عن كثير من العادات والتقاليد الوثنية القديمة مثل ماكانوا يقدمونه من قرابين للنيل في كل عام حتى يفيض بالخير والرخاء على زعمهم ، إذ كانوا يعدون إحدىفتياتهم في أحسن لباسها و أغض شبابها ثم يلقون بها عروسا للنيل ، متأثرين في ذلك بالفراعنة القدماء (106) أيضا ومن عاداتهم التي حاربها الإسلام أن الرجل إذا طلق زوجته بطلبها ورغبتها استولى على جهازها وحلق شعر رأسها (107) وكان من عاداتهم أيضا أن الرجل إذا خامره شك في زوجته حملهاإلى النيل وأغمد مدية في صدرها ثم قذف بها في النهر (108) إضافة إلى عادة شرب الخمر بشكل كبير وإ عداده في البيوت بأنواع مختلفة (109) ولعل ذلك أمر مرتبط بشعائر نصرانية دينية .

ومما عثر عليه من كتابات في مقابر نوبية تحمل التاريخ الهجري (110) يبين تأثر النوبيين بالمسلمين في كيفية دفن موتاهم بعد غسلهم والصلاةعليهم بدلا من طريقة الدفن النوبية القديمة ، إلا أنه قد صاحب ذلك بعض من مظاهر طريقتهم القديمة إذ ظلوا يضعون مع الميت بعض ممتلكاته القديمة أو قطعا من فخار كان يستخدمه المتوفى في حياته ، إضافة إلى ذبح بقرة أو شاة وتوزيعها على الفقراء والمساكين من أبناء المنطقة ، وقد تأثرت بعض القبائل العربية ببعض هذه العادات(111) بالرغم من أنها من البدع المنهي عنها في الإسلام ، غير أن الباحث لايستطيع الجزم بأن النوبة المسلمين قد خصصوا لهم أماكن خاصة لدفن موتاهم غير التي يدفن فيها النصاري من النوبة موتاهم .

هذا وقد أخذ النوبيون كثيرا من عادات المسلمين المتعلقة بأفراحهم فنجد في حالة الزواج أن عددا من الشهود يحضرون مراسيم توقيع العقد ، فضلا عن حضور المأذون نفسه ،إلا أن بعض النوبة المسلمين الذين لم يكونوا يعلمون شيئا عن أبسط قواعد الإسلام كانوا يجمعون بين الأختين في الزواج(112) ولعلها بقايا موروثات وثنية قديمة .

وقد ارتبطت مراسيم الزواج النوبي كثيرا بالنيل ، بل إن الحياة الاجتماعية كلها ذات صلة مباشرة به فضلا عن ارتباطهم الاقتصادي والتجاري به ، فكان العريس يصحب عروسه إلى النيل في صباح يوم الزواج ليتر اشقا بالماء ويغسلا وجهيهما ويأخذ كل واحد

منهما نباتاً أخضر يعلقانه على الدار (113) على أن النوبي إذا طلق زوجته أخذ مادفعه من مهر كامل (114) ويسترده دون أن يعترض سبيله أحد أو أن يواجه احتجاجا أو إنكارا من مجتمعه .

والنوبي في أموره كلها وعلى وجه الخصوص في زواجه لابد أن يشاور أمه في كل صغيرة وكبيرة بدءا باختيار الزوجة المناسبة والتعرف عليها وعلى أهلها ثم التقدم لخطبتها وحتى يكمل مراسيم زواجه كلها (115) فهو لايستغني عن أمه أبدا وعن مشورتها الدائمة (116)

وفي حالة أن يولد مولود جديد للزوجين فإنه يحمل إلى النيل ليغسل هناك بعد إكماله أربعين يوما إذ يعتقد الأهالي أن عقوبات وشروراً ستنزل بالمرأة التي تهمل هذه الطقوس (117) إضافة لذلك كانت المرأة ترسم على جبين وليدها الصغير صليبا صغيرا من الكحل ظانين أن هذا العمل يطرد عن الصغير العين ويحفظه من شرور الناس (118) وقد كانت هذه العادة نفسها موجودة عند العرب ويبدو أن النوبيين المسلمين قد عدلوا عن رسم الصليب عند احتكاكهم بهم ، فقد كان العرب يجعلون على وجه الصبي سوادا من الكحل إلى أن يبلغ الأربعين يوما من عمره لئلا تصيبه العين ، وهي ما تسميها العرب (بالتدسيم) وفي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه نظر إلى غلام مليح فقال(دسموا نونته) ، والنونة (حفر الذقن) (119)

كذلك من العادات التي أخذتها نساء النوبة من اتصالهن بنساء العرب أو بالتزاوج والمصاهرة معهم ، نتف شعر جباههن بالخيط وهي عادة عربية قديمة يقال احتفت المرأة إذا أمرت من يحف شعر وجهها بخيطين .

قال الشاعر الجاهلي يصف امرأة أخبرت بقدوم زوجها من سفر :

فلما مضى شهر وعشر لعير ها وقالوا تجيىء اليوم قد حان حينها

أمرت من الكتان خيطا وأرسلت حريا إلى أخرى قريبا تعينها

فما زال يجري السلك في وجهها وجبهتها حتى تنته قرونها (120)

هذا وقد انتقلت كثير من عادات العرب للنوبيين في شتى أوجه الحياة العامة، منها تغيير شكل مبانيهم وسكناهم إذ اتجهوا إلى إقامة فواصل من حائط أو نحوه بين مكان سكنى حريمهم ومكان إقامة الرجال (121) ودخلت بعض التعديلات في طعامهم إذ كان

(أفخر طبخاتهم أن تطبخ اللوبيا في مرق اللحم ، ويثرد ويصف اللحم واللوبيا على وجه الثريد ، وربما عملت اللوبيا بورقها وعروقها (122) وعرفوا استخدام الصاج في صناعة بعض دقيق الخبز من الذرة تماما كما يصنع بدوجزيرة العرب (123)

وفي ملابسهم بدأت المؤثرات الإسلامية أكثر وضوحا ، إذ عدل النوبيون عن الملابس القصيرة ، وأصبح لباسهم أقرب للباس القبائل التي ساكنتهم من العرب ،فأصبح النوبي يضع على رأسه غطاء يتخذ شكل طاقية من القماش بيضاء يلف عليها خرقا صغيرة تعطيها شكلا أقرب إلى العمامة (124)

أما النساء فقد أخذن عن العرب في اللباس (الرهط) وهو نقبة من جلد أحمر مشقق بسيور ليس له حجزة ولا ساقان يشد كما تشد السراويل فتلبسه الجواري قبل إدراكهن ، فإن أدركن ، أو زوجن خلعنه (125)

وقد كان هذا النوع من اللباس معروفا في الجزيرة العربية ، قال ابن منظور : وكانوا في الجاهلية يطوفون عراة والنساء في أرهاط(126) كذلك النقبة وهي قطعة من الثياب قدر السراويل تجعل لها حجزة محيطة من غير نيفق وتشد كما تشد السراويل (127) فاذا كان لها نيفق وساقان فهي سراويل فاذا لم يكن لهانيفق ولا ساقان ولا حجزة فهو النطاق (128)

هذا وقد أخذ الجيل المستعرب من النوبيين كثيرا من أسماء الحلي التي كانت تتخذه القبائل العربية زينة لنسائها ، ومنها ماهو من الفضة والذهب ومنها ما هو من العاج حيث دخل الأثر النوبي عليه ، وتختلف بحسب أعمار النساء ومراحل أوضاعهن لاجتماعية فللصبية نوع معين له أسماء معينة ، وللفتاة البالغة كذلك نوع واسم ور سم معين من الحلي ، وللمرأة المتزوجة أيضا حليها بأسمائها ورسمها(129).

وإذا كان النوبيون قد تأثروا كثيرا ببعض العادات العربية فإن العرب كذلك أخذوا من النوبيين بعضا من عاداتهم وتقاليدهم وصبغوها بصبغتهم الخاصة بحسب وضعهم الاجتماعي في ذلك الوسط الجديد الذي أقبلوا عليه ، ومنها أخذهم عادة (الشلوخ) من النوبيين ، وهي كلمة تستعمل للدلالة على الخطوط المرسومة على الخدود من أثر الفصد ، وهي عادة عرفها النوبيون منذ آماد بعيدة وقبل أن تصل القبائل العربية في

هجرتها إلى بلاد النوبة (130) ومن المحتمل أن يكون لها ارتباط بالتقاليد الدينية والاجتماعية عندهم .

هذا وقد ورد الشلخ في كتاب المعاجم اللغوية بمعني الأصل والعرق (131) وبمعني الفصد فصد المريض إذا شقف عرقه(132)شلخه بالسيف قطعه به ، وشلخ الزر ع ، قطع بعض فروعه وورقه لينمو أكثر وشلخ النخل أزال عنه شوائبه (3 13)

وكما سبقت الإشارة فإن العرب الوافدين إلى بلاد النوبة قد دخلوا مع سكان البلاد في علاقات قوية بالتصاهر والتز اوج معهم ، وانتشروا في بادىء الأمر في البوادي طلبا للرعي ولحرية التنقل والترحال في طلب الكلأ ، وحين توسعت الهجرة بشكل كبير استقرت أعداد منهم على شواطيء النيل مما زاد في اختلاطهم بالعناصر الوطنية من النوبيين وغيرهم ، وبلغ ذلك الاختلاط والالتحام درجة قصو ى حتى نسي الوطنيون لغتهم الأصلية ولدرجة يتعذر معها الفصل بين الأجيال الجديدة من سلالة الوافدين وأبناء الوطنيين من النوبيين ممن كمل استعرابه (134) ولاشك أن العرب قد لاحظوا تلك الخطوط التى يضعها النوبيون وغيرهم من سكان وادي النيل على خدودهم ولابد أن تكون مثل تلك العادات قد انتقلت تدريجيا إلى أبنائهم وبناتهم عن طريق أمهاتهم النوبيات ، ومع أن العرب قد انفتحوا على المجتمع الذي آواهم معاشرة ومصاهرة وتسريا – أي استرقاقا – فقد هالهم فيما يبدو أن تلاقحهم مع المجتمع النوبي أدى إلى نتاج جديد أشبه شكلا وأقرب لونا إلى الشعوب التي يعيشون بينها من البجة والزنج وغيرهم ، فخشوا أن يذوب كيانهم وتضيع خصائصهم في خضم هذا التصاهر (135) فاتجهوا إلى تلك العادة النوبية فتبنوها بعد أن أفرغوها من مدلولها الديني والوثني ، وتبنوها ليتميزوا بها عن من سواهم ، ولخوفهم من تعرض أبنائهم للرق بسبب سمرة بشرتهم ، فاتخذت كل جماعة من هذه الجماعات والقبائل العربية وسطً خاصا بها ، حتى أصبحت سمة ودليلا على عروبتهم فيما بينهم أولا ، وعند جيرانهم ثانيا ، وأصبح معتقدا راسخاعندهم أن عدم وجودها وتركها يثير كثيرا من الشكوك والريب حول أصول هذه الجماعات حيث أصبح تركها ليس من أخلاق العرب والأحرار في شيء(136)

وفي مراحل انتشار الإسلام المتقدمة وقبيل قيام الممالك الإسلامية اتخذت الطرق الصوفية طريقها إلى بلاد النوبة ، واتخذت كل طريقة من هذه الطرق وسما خاصا

باتباعها ورجالاتها تميزا لهم عن أتباع الطرق الصوفية الأخر ى فأضافت للمدلول القبلي للشلوخ مدلولا جديدا (137)

كذلك من نتائج هذا التصاهر أن اتجهت القبائل العربية المهاجرة إلى الاهتمام بأنسابها وحفظ الأنساب خوفا من الضياع أو الاختلاط ، فتأثر بذلك النوبة المستعربون من بني كنز وغيرهم فاتجهوا إلى ذلك الأمر إثباتا لأصولهم العربية بانتمائهم لقبيلة ربيعة العربية وأصبح الاهتمام بمعرفة الأنساب أمرا منتشرا وخطيرا في بلاد السودان منذ ذلك الحين (138)

الهوامش :

1) ابن سيد الناس : السيرة النبوية ، ج 1 ، بيروت ،مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، 1406هـ : 1986 ، ص 152 – مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية 1966 م ص 107 ، 106

2) محمد عوض : السودان الشمالي سكانه وقبائله ، القاهرة ، 1951 ص 28

3) مصوع : ميناء تجاري مهم يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وشهد صراعات عديدة في التاريخ ، ضمه العثمانيون لهم و أقاموا فيه قواعد عربية تأمينا للتجارة ومنافذها في سنة 1520م ، (مصطفي مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص 126، 209)

4) أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ط 2 القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية 1963، ص 134 ، 136

5) دهلك : اسم أعجمي معرب لجزيرة في بحر اليمن ،ومرسى بين بلاد اليمن والحبشة ، كان بنو أمية إذا سخطوا علي أحد نفوه إليها ، قال الشاعر :

وأقِح بدهلك من بلدة فكل امر ىء حلها هالك

كفاك دليلا على أنها جحيم وخازنها مالك

انظر ياقوت الحموي : ج 2 ، معجم البلدان ، ج 2(طهران : مكتبة الأسدي 1965، ص 634

6) خليفات عوض محمد : مملكة ربيعة العربية ، عمان ، 1983 م ص 47

7) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، ص 107 – 108

8) الشاطر بصيلي : معالم تاريخ سودان وادي النيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1069م ، ص 8

9) المرجع السابق : ص 8-9

10) المرجع السابق : ص 8

11) عوض محمد خليفات : مملكة ربيعة العربية ، ص 51

12) المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج 1 القاهرة المطبعة الأميرية 1970 هـ ، ص 195

13) عبدالملك بن هشام : السيرة النبوية ، ج 1 ص 205 ، تحقيق مصطفى عبدالستار (وآخرون) مطبعة الحلبي ، مصر 1355 هـ - 1936م

14) عوض محمد خليفات : مملكة ربيعة العربية ، ص 25

15) علي بن الحسين المسعودي التنبيه والإشراف ، ليدن 1976م

16) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : المعارف ، ص 147 تحقيق د. ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة 1388هـ دار العلم للطباعة والنشر جدة 1403هـ ، ص 83

17) الصادق المهدي : مستقبل الإسلام في السودان ، ص 17 ، مصطفى مسعد مكتبة الأنجلو القاهرة 1960 / الإسلام والنوبة ص 106 – 109، يوسف فضل حسن : الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام ، بحث منشور ضمن إصدار بعنوان(الإسلام في السودان عن جماعة الفكر والثقافة الإسلامية ، دار الأصالة ، الخرطوم ، ص 3

18) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، ص 108

19) ربيع محمد القمر : قرأءة جديدة في نصوص معاهدة البقط ، الدارة العدد (الثاني) الرياض ، السنة الحادية والعشرون- محرم / صفر / ربيع الأخر 1416هـ ، ص 162

20) عبدالمجيد عابدين : القبائل العربية في وادي النيل، بحث في ذيل كتاب البيان والإعراب للمقريزي القاهرة 1961م ، ص 142

21) جعفر أحمد صديق : انتشار الإسلام في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، ص 108 ، قسم الدراسات العليا الحضارية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القري 1408هـ ص 108

22) عباس عمار وحدة وادي النيل ، أسسها الجغرافية ومظاهر ها في التاريخ ص 80

23) المرجع السابق ص 80

24)Maciche, H,A " The coming Of Arabs in Sudan Anews London 1935 pp 46-47

25) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ص 189

26) المقريزي: السلوك ج1 ، تحقيق محمد مصطفي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر – القاهرة 1941 م 506

27) محمد عوض محمد : السودان الشمالي : ص 59- 160

28) محمد بن عمر التونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل عساكر ومصطفي مسعد القاهرة ، الدار المصرية للتاليف ، والترجمة 1965 م ص 6
29) مصطفي مسعد / الإسلام والنوبة ، ص 190 ومابعدها
30) سورة التوبة ، الأية 20
31) 31 سورة العنكبوت ، الأية 69
32) سورة النساء ، الأية 95
33) أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي : سنن النسائي ج 6 ، مكتبة مصطفي الحلبي ، 1984 ، ص 8
34) ابن ماجة :سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة مصطفي الحلبي ، مصر (بدون تاريخ) ج 2 / ص 921
35) الكندي : الولاة والقضاة ، دار صادر ، بيروت 1379هـ / 1959م ص 76 – 77
36) المسعودي1976 : التنبيه والإشراف ، ص 329 – ابن إياس : بدائع الزهور ، ص 29 – 31 (محمد بن أحمد) ت 1930 هـ القاهرة 1896 م
37) عوض خليفات : العرب والنوبة في صدر الإسلام ، بحث بمجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، رجب 1402 هـ / 1982 م ، ص 63
38) اختلف المؤرخون في أصلهم فقيل إنهم من القبائل النيلية السودانية (الشلك) وقيل إنهم من البرنو من غرب إفريقيا ، إضافة للرأي القوي الذي يقول بأن أصولهم ذات صلةمباشرة بالأمويين ، انظر (مصطفي : الإسلام والنوبة ص 206)
39) القمر ربيع ، معاهدة البقط رسالة ماجستير غير منشورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية العلوم الاجتماعية قسم التاريخ – الرياض ض412هـ -
40) المقريزي : البيان والإعراب عمن بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين ، القاهرة ، 1961 م ص 66- 86 – 98 – 99
41) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، ج 2 ، ص 94
42) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة ، د. 2 ، القاهرة ، دار الكتب المصرية 1963 م ، ص 223

43) المقريزي : المواعظ والاعتبار : ج 1 ص 94

44) ابن تفري بردي : النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة ، ج 2 ، ص 49 ، 61، 60 ، 55

45) الكندي : الولاة والقضاة ، مطبعة الآباء اليوسوعيين بيروت 1908م ص 145 – 146

46) أبوصالح الأرمني : تاريخ الشيخ أبوصالح الأرمني ، أكسفورد 1894م ص 12

47) رولاند أوليفر :مؤجز تار يخ إفريقيا ، ترجمة دولت أحمد صادق ، القاهرة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ص 39

48) الإدر يسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج 1 (أبوعبدالله محمد بن محمد بن ادريس) ت 560هـ روما 1970م، ص 39

49) عبدالله خورشيد : القبائل العربية في مصر ، القاهرة ، دار الكتاب العربي 1967م ، ص 52

50) اليعقوبي : كتاب البلدان ، المطبعة الحيدرية ، النجف – 1377هـ - 1957 م، ص 120

51) محمد إبراهيم الصحبي : التجارة والاقتصاد عند العرب ، القاهرة ، مكتبة الوعي العربي ، 1969 ، ص 401

52) أحمد نجم الدين فليجة : إفريقية ، بغداد ، جامعة بغداد 1978 م ، ص 16

53) ابن سليم الأسواني : أخبار النوبة (المواعظ والاعتبار للمقريزي) ج 1 ، المطبعة الأميرية القاهرة 1270 هـ - ص 193

54) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص 123 -124

55) مصطفي مسعد : البجة والعرب في العصور الوسطي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد 21 ، عدد 2 القاهرة ، ص 29

56) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج 1 ، دار صادر ، بيروت ، 1960 ، ص 191

57) شوقي الجمل : تاريخ وحضارات السودان ج1 القاهرة مكتبة الانجلو المصرية 1969 م ص 254 – الصادق المهدي : مستقبل الإسلام في السودان ، ص 17

58) مصطفي مصطفي : الإسلام والنوبة ، ص 138

59) المقريزي: المواعظ والاعتبار ج 1 ص 190

60) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، ص 133
61) ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1968 م ج 5 ، ص 923
62) بين نهري عطبرة والنيل الأزرق
63) بين النيل الأزرق والنيل الأبيض
64) حسن محمد جوهر وحسين مخلوف : السودان (أرضه ، تاريخه ، حياة شعبه)، دار الكتب ، مصر ، 1970 م / ص 53
65) يوسف فضل حسن : الهجرات البشرية ، ص 22
66) المرجع السابق / ص 23
67) مصطفي مسعد : امتداد الإسلام والعروبة إلي وادي النيل الأوسط ، المجلة التاريخية المصرية 1959 م (العدد الخامس) القاهرة ص 82
68) المرجع السابق ، ص 82
69) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص 143
70) المرجع السابق ، ص 144
71) مصطفي مسعد : امتداد الإسلام والعروبة ، ص 83
72) Michael H A : A History of the Arabs in the Sudan Cambridge 1922 1 p. 1970
73) أحمد بن الحاج : مخطوطة كاتب الشونة ، تحقيق الشاطر بصيلي ، دار إحياء الكتب العربية مصر ، القاهرة ، ص 45(بدون تاريخ)
74) محمد المرتضي الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج 8 بيروت مكتبة دار الحياة ص 243
75) ابن حجر / الإصابة في تمييز الصحابة : ج 1 مطبعة السعادة ، مصر 1228هـ ، ص 323
76) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ، دار الثقافة ، بيروت 1967 م ص 62-65

77) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 89 ، ابن حوقل صورة الأرض ، رسالة ماجستير جامعة أم القري 1410 هـ ص 54، جعفر أحمد صديق : انتشار الإسلام في السودان ، ص 112

78) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : ج 2 ، ص 89 – المقريزي : البيان والاعراب ص 105 ، 106

79) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص 210

80) جعفر أحمد صديق : انتشار الإسلام في السودان ، ص 122

81) ابن خلدون : العبر ، ج 2 ، 1968 م ص 516

82) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 57

83) أحمد كاتب الشونة و آخرون : تاريخ ملوك السودان ، تحقيق مكي شبيكة ، مطبوعات كلية غردون التذكارية ، مطبعة ماكوركودليل الخرطوم 1937 – ص 1

84) ابن سليم الأسواني : أخبار النوبة ، عن المصدر السابق ، ج 1 ص 196

85) المصدر السابق ، ج 1 ، ص 194

86) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (ابو عبدالله محمد بن عبدالله) 779 هـ ، دار صادر بيروت 1284 هـ ، ص 677

87) عوض خليفات : مملكة ربيعة العربية ، ص 48 ومابعدها

88) الادريسي : نزهة المشتاق : ج 1 ، ص 30

89) المصدر السابق ج 1 ص 31

90) بوركهارت: رحلات بوركهات في النوبة، مطبعة المعرفة بدون تاريخ ص 136

91) ابن الوردي : خريدة العجائب ، ورقة 21

92) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج 1 ، روما 1970 م ص 31

93) ابن الوردي : خريدة العجائب ، مخطوطة بقسم المخطوطات ، المكتبة المركزية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رقم (6239) ورقة 21

94) ابن ميسر: أحبار مصر، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي القاهرة 1919م ص 13

95) عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص 123

96) ابن حوقل : صورة الأرض ص 57، المقريز ي : المواعظ والاعتبار ج 1 ص 198

97) القلقشندي : صبح الأعشي ، ج 5 ، المطبعة الأميرية ، القاهرة 1333هـ / 1915 م ص 273

98) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 1 دار الأندلس للطباعة والنشر – بيروت ، 1393 هـ، 1973 ص 443 – المقريزي : المواعظ والاعتبار ج 5 ص 429

99) ابن خلدون : العبر ج 5 ص 429

Trimingham J . Specer Islam in the Sudan , London 949 . p68

100) مصطفي مسعد : الإسلام والنوبة ، ص 174-182

101) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 4 ص 820

102) ابن حوقل : صورة الأرض ص 9

103) توماس ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم – مكتبة النهضة المصرية 1970 ، ص 399

104) المرجع السابق : ص 366

105) سورة التكوير ، الأية 8

106) ادولف ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبدالمنعم أبوبكر ومحمد أنور مكتبة مصطفي الحلبي ، مصر ، ص 18

107) بوركهارت : رحلات بوركهارت في بلاد النوبة ، ص 126

108) المصدر السابق : ص 126

109) المصدر السابق ، ص 126

110) مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ص 133

111) بوركهارت / رحلات بوركهارت في بلاد النوبة ، ص 268

112) أحمد الحاج وآخرون ،من معالم تاريخ الإسلام في السودان جماعة الفكر والثقافة الإسلامية الخرطوم مرجع سابق ص 98

113) علي زين العابدين ، فن صياغة الحلي الشعبية النوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1981م ، ص 87

114) بوركهارت ، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة ، ص 126

115) علي زين العابدين ، فن صياغة الحلي الشعبية النوبية ، ص 81

116) مصطفي مسعد / الإسلام والنوبة ص 160

117) جونتاني فانتيني تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة ، الخرطوم 1970 ص 200
118) المرجع السابق ص 200
119) عبدالله عبدالرحمن الأمين الضرير : العربية في السودان ج 1 دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1967 ص 13
120) المرجع السابق ص 13
121) بوركهارت رحلات بوركهارت في بلاد النوبة ، ص 124
122) القلقشندي : صبح الأعشي ، ج 5 ص 27
123) بوركهارت : رحلات بوركهارت ص 124
124) المصدر السابق ص 123
125) عبدالله عبدالرحمن الأمين ، العربية في السودان ، ص 22
126) ابن منظور لسان العرب ، دار لسان العرب ، بيروت (بدون تاريخ) مج 1 ص 1240
127) المصدر السابق : مج 3 ، ص 698
128) المصدر السابق : مج 3 ص 698
129) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع انظر :

علي زين العابدين : فن صياغة الحلي الشعبية النوبية ص 81

عبدالله عبدالرحمن الأمين العربية في السودان ص 25 ومابعدها

130) يوسف فضل حسن : الشلوخ (أصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل)دار جامعة الخرطوم للنشر الخروم ، 1976 ص 9
131) ابن منظور : لسان العرب ج3 ، ص 3 الزبيدي : تاريخ العروس دار مكتبة الحياة بدونم تاريخ ج ص ص 264
132) الزبيدي المصدر السابق ص 264
133) عون الشريف قاسم : قاموس اللهجة السودانية العامية في السودان المكتب المصري الحديث القاهرة 1405، ، 1982 ص 627
134) يوسف فضل حسن الشلوخ ص 45
135) المرجع السابق ص 45

136) المرجع السابق ص 48

137) المرجع السابق صث 59

138) عباس محمد مالك العرب العباسيون في بلاد السودان ، دار الطابع العربي بحري 1987 ص 239 ومابعدها انظر كذلك عطية القوصي تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ص 146 - 147